جامعة الأزهر
كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالزقازيق
المجلة العلمية

أساليب الحِجَاج في القرآن الكريم من خلال سورة الأنعام

دراسة تحليلية

إعداد

فاطمة محمد رابح تعالبي

قسم الدراسات الإسلامية، تخصص : الكتاب والسنة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة الملك عبدالعزيز، المملكة العربية السعودية

(العدد الرابع عشر)

(الإصدار الثاني - ديسمبر)

(١٤٤٦هـ - ٢٠٢٤م)

علمية- محكمة- نصف سنوية

أساليب الحجاج في القرآن الكريم من خلال سورة الأنعام
دراسة تحليلية

فاطمة محمد رابح تعالبي

قسم الدراسات الإسلامية، تخصص : الكتاب والسنة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة الملك عبدالعزيز، المملكة العربية السعودية.

البريد الالكتروني: aladeeb144@gmail.com

الملخص :

يهدف هذا البحث إلى أن القرآن الكريم قد بلغ من براعة البيان، وجودة اللفظ، وعمق المعنى مالا يستطيع أن يجاريه أو يدانيه بشر، وهذا بارز وظاهر في كل موضوعات القرآن التي تناولها، ومن أبرز الموضوعات التي عني بها موضوع الجدل والحوار مع المخالف، والتي سلك فيها أرقى المسالك في بيان الحجة، وتوضيح المفاهيم وتصحيحها، وضرب شبهات المخالف وإبطالها بأعلى أسلوب، وأجمل بيان، ومن السور التي تناولت جملة من الموضوعات الجدلية سورة الأنعام، فقد حوت مجموعة من الآيات التي حاجج فيها القرآن الكريم الخصوم في قضايا متنوعة مثل التوحيد، والرد على المشركين، ودعوة الناس إلى الإيمان بالله؛ لتبيان الحقيقة ودحض الشبهات، وقد أحببت أن أكتب في هذا الموضوع لعل الله أن ينفع به، وقد اشتمل البحث على مقدمة، وتمهيدٍ فيه مطلبان: المطلب الأول: التعريف بالحِجَاج لغة واصطلاحاً، والمطلب الثاني: التعريف بمرادفات الحِجَاج، ثم اشتمل البحث على ثلاثة مباحث: المبحث الأول: أسلوب الحِجَاج في الآية: ٧ من سورة الأنعام، وفيه مطلبان: المطلب الأول: المعنى الإجمالي ،والمطلب الثاني: أسلوب الحِجَاج في الآية، والمبحث الثاني: أسلوب الحِجَاج في الآية: ٨ من سورة الأنعام، وفيه مطلبان أيضاً: المطلب الأول: المعنى الإجمالي، والمطلب الثاني: أسلوب الحِجَاج في الآية. ثم المبحث الثالث: أسلوب الحِجَاج في الآيتين: ٧٦-٧٨ من سورة الأنعام، ثم بعد ذلك خاتمة، وفيها أهم

النتائج، ومنها: أنه يحسن بطالب العلم أن يتعلم مسالك الحوار والجدل مع المشركين، ولا يقتصر على مسلك واحد، وتكمن أهمية الحجاج فيما يولده من اقتناع لدى المتلقي ، ففي قصة إبراهيم عليه السلام شاهد على ذلك، فإنه كان يحاور أباه وقومه بالتذكير بالله، والنهي عن اتباع الشيطان، والتخويف بالنار، وتارة يحاورهم بإبطال عقيدتهم في النجوم والكواكب، فتنوع خطابه عليه السلام بين الخطاب العقلي المحسوس، وبين المعنوي المتعلق بعالم الغيب ،بانياً عقيدته على الحس والعقل والمنطق السليم.

الكلمات المفتاحية: أساليب، الحجاج، سورة الأنعام ،دراسة، تحليلية.

Methods of pilgrims in the Holy Qur'an through Surat Al-An'am - Analytical study

Fatima Mohamed Rabeh Taalbi

She holds a Master's degree from the Department of Islamic Studies, specializing in: The Qur'an and Sunnah, College of Arts and Human Sciences, King Abdulaziz University.

Kingdom of Saudi Arabia

E.mail: aladeeb144@gmail.com

Abstract :

This research aims at the fact that the Holy Quran has attained the ingenuity of the statement and the quality of the word, and the depth of the meaning, which he could not live or condemn. And this is prominent and manifested in all the subjects of the Qur 'an that he addressed, and one of the most prominent subjects on which I am concerned is the subject of controversy and dialogue with the violator the best course of action in the statement of argument, clarification and correction of concepts and striking suspicions of the violator and nullifying them in the highest style, the most beautiful statement, and the wall that dealt with a number of controversial subjects of the Surah Al-Anaam, A series of verses in which the Holy Koran invoked adversaries on issues as diverse as unification, responding to those involved, and calling on people to believe in God; To demonstrate the truth and refute suspicions, and I liked to write on this subject may God benefit.

The research included an introduction, setting the stage for two requirements: the first requirement: the definition of arguments is language and terminology; and the second requirement: the identification of arguments synonyms; and then the research included three investigations:

The first study: The method of arguments in the verse: 7 of the Holy Koran, with two requirements: the first requirement: the overall meaning, the second requirement: the method of arguments in the verse, and the second study: the method of arguments in the verse: 8 of the Holy Koran, and also two requirements: the first requirement: the overall meaning, and the second requirement: the method of arguments in the verse. Then the third research: the method of arguments in the two verses: 76-78 of the Surah of Anam, and then a conclusion, with the most important results, including: It is better for the student to learn the course of dialogue and controversy with the participants and not confined to a single course of conduct, and the importance of pilgrims lies in the conviction generated by the recipient In the story of Ibrahim Ali Al-Salam, he was a witness to this, and he was discussing his Father and reminding him of God. and to stop following the devil, intimidating them with fire, trying to nullify their creed in stars and planets, His rhetoric had a peace between perceived mental discourse and the moral world of the absentee, because of his belief in sense, reason and common sense.

Keywords: Methods, Pilgrims, Surah of Anam, Study, Analysis.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا الهادي إلى صراط مستقيم، وعلى آله وصحبه أجمعين، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[1] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾[2] أما بعد:

فإن القرآن الكريم قد بلغ من براعة البيان، وجودة اللفظ، وعمق المعنى مالا يستطيع أن يجاريه أو يدانيه بشر، وهذا بارز وظاهر في كل موضوعات القرآن التي تناولها.

ومن أبرز الموضوعات التي عني بها موضوع الجدل والحوار مع المخالف، والتي سلك فيها أرقى المسالك في بيان الحجة، وتوضيح المفاهيم وتصحيحها، وضرب شبهات المخالف وإبطالها بأعلى أسلوب، وأجمل بيان.

ومن السور التي تناولت جملة من الموضوعات الجدلية سورة الأنعام، فقد حوت مجموعة من الآيات التي حاجج فيها القرآن الكريم الخصوم في قضايا متنوعة مثل التوحيد، والرد على المشركين، ودعوة الناس إلى الإيمان بالله؛ لتبيان الحقيقة ودحض الشبهات، وقد أحببت أن أكتب في هذا الموضوع لعل الله أن ينفع به.

والحمد لله رب العالمين.

---

(١) [سورة آل عمران:١٠٢].

(٢) [سورة الأحزاب ٧٠، ٧١].

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١. إبراز أهم قضايا الحِجَاج في القرآن الكريم من خلال سورة الأنعام.
٢. مخاطبة المنطق والعقل من خلال أساليب الجدل في القرآن مما يساعد في ترسيخ الحقائق الدينية.
٣. بيان قوة الأسلوب القرآني في الإقناع والتأثير من خلال أساليب الجدل في سورة الأنعام.
٤. تمثل سورة الأنعام محوراً كبيراً في بيان وحدانية الله، ورفض الشرك، مما يجعلها أنموذجاً بارزاً لدراسة أساليب الحِجَاج والجدل.

أهداف البحث:

١. التعرف على معاني الحِجَاج.
٢. تحليل أساليب الحِجَاج في سورة الأنعام.
٣. دراسة الأسلوب القرآني في الحِجَاج من خلال سورة الأنعام.

مشكلة البحث:

يجيب البحث عن التساؤلات التالية:

١. ما معنى الحِجَاج؟
٢. ما المعاني المرادفة للحجاج؟
٣. ما الآيات القرآنية التي تناولت الحِجَاج في سورة الأنعام.

الدراسات السابقة:

لم أقف على دراسة مختصة بموضوع أساليب الحِجَاج في القرآن الكريم من خلال سورة الأنعام دراسة تحليلية"، إلا أني وقفت على بحث بعنون: "أساليب الحِجَاج في القرآن الكريم من خلال سورة الإسراء إلى سورة يس دراسة تحليلية"، للباحثة: آمنة عوض عبد الكريم محمد، رسالة ماجستير في جامعة أم درمان، في كلية أصول الدين، قسم العقيدة، سنة ١٤٣٣هـ. وهي دراسة تناولت الحِجَاج في القرآن الكريم من خلال سورة الإسراء إلى سورة يس، ودراستي مختصة بسورة الأنعام.

منهج الدراسة:

سلكت في هذا البحث المنهج الاستقرائي الاستنباطي التحليلي، باستقراء الآيات ذات الصلة بالموضوع، واستنباط الحِجَاج منها، وتحليل أساليب الحِجَاج والمسائل المتعلقة به في الآيات، وفق ما يأتي:

١. عزو الأقوال إلى قائليها من المفسرين من كتبهم مباشرة ما أمكن.
٢. عزو الآيات القرآنية إلى سورها، وذلك بذكر اسم السورة، ورقم الآية، واعتمدت كتابتها بالرسم العثماني.
٣. تخريج الأحاديث النبوية من كتب السنة، بذكر المصدر والجزء والصفحة ورقم الحديث إن وجد، وإذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بالإحالة إليهما، وإن كان في غيرهما من الكتب الستة اكتفيت بها، فإن لم أجدها ففي الكتب التسعة، وأذكر الحكم على الحديث من خلال الوقوف على أقوال أئمة هذا الشأن ما أمكن.
٤. شرح غريب الألفاظ والمصطلحات التي تحتاج إلى تعريف عند ذكرها لأول مرة.
٥. الترجمة للأعلام غير المشهورين.
٦. ذكر فهرس المصادر والمراجع.

خطة البحث:

قسمت البحث إلى مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة:

المقدّمة: وفيها أهميّة الموضوع وأسباب اختياره، وأهداف البحث، ومشكلة البحث، والدراسات السابقة، والمنهج المتّبع فيها، وخطة البحث.

التمهيد: وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بالحِجَاج لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: التعريف بمرادفات الحِجَاج.

المبحث الأول: أسلوب الحِجَاج في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [سورة الأنعام، الآية ٧]، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: المعنى الإجمالي.

المطلب الثاني: أسلوب الحِجَاج في الآية.

المبحث الثاني: أسلوب الحِجَاج في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ٨]، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: المعنى الإجمالي.

المطلب الثاني: أسلوب الحِجَاج في الآية.

المبحث الثالث: أسلوب الحِجَاج في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ﴾ [سورة الأنعام، الآية:٧٦-٧٨]، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: المعنى الإجمالي.

المطلب الثاني: أسلوب الحِجَاج في الآية.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج.

فهرس المصادر والمراجع.

التمهيد: وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بالحِجَاج لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: التعريف بمرادفات الحِجَاج.

المطلب الأول:

التعريف بالحِجَاج لغة واصطلاحاً

الحِجَاج في اللُّغة:

الحِجَاج مأخوذ من (حجج)، وتدور معاني هذه المادة حول: المجادلة، وَالظَّفَر عند الخُصومة، والدليل والبرهان.

والحُجّةُ: مَا دُوفعَ بِهِ الخَصمُ، وجمعها: حُجَجٌ وحِجاجٌ، والفِعل حاجَجْتُه فَحَجَجْتُه. واحتَجَجْتُ عليه، أي: أَقَامَ الْحجَّة.

والمصدر منها: حِجاج، وحاجَّهُ حِجاجاً ومُحَاجَّةً أي: نازَعه الحُجةَ، ورَجُلٌ مِحْجاجٌ أَي جَدِلٌ[(١)].

وَفِي حديث النبي ﷺ: " فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى..." [(٢)] أَي: غَلَبَه بالحُجَّة[(٣)].

فمعاني الحِجَاج تدور حول المجادلة مع المنازعة والاختلاف في الرأي، والغلبة تكون لمن جاء بالحجة والدليل على صحة رأيه.

الحِجَاج في الاصطلاح:

لا يختلف المعنى الاصطلاحي للحجاج عن المعنى اللغوي، فهو النزاع والخصام وإقامة الحجة والدَّليلَ لإثبات صحَّةَ أمر [(٤)].

---

(١) انظر: ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم (٢/ ٤٨٢)، ابن منظور، لسان العرب (٢/ ٢٢٨)، الفيروز آبادي، القاموس المحيط (ص: ١٨٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب وفاة موسى وذكره بعد، الحديث رقم (٣٤٠٩)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام، الحديث رقم (٢٦٥٢).

(٣) انظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٢٠٢/١٦)، ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٠٢/١).

(٤) انظر: عمر وفريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة (١/ ٤٤٥)،

المطلب الثاني:
التعريف بمرادفات الحِجَاج

١. **الجدل:**

وهو في اللغة يدل على اللَّدَد فِي الخُصومة والقدرة عَلَيْهَا، يقال: جَادَلَهُ مُجَادَلَةً وجِدَالًا إذا خَاصَمَهُ وغَلَبهُ. وَرَجُلٌ جَدِل ومِجْدَل ومِجْدال: شَدِيد الخصومة قوي فيه.

والجَدَل: مُقَابَلَةُ الْحُجَّةِ بِالْحُجَّةِ.

ومن الجدال ما هو حسن، ومنه ما هو مذموم منهي عنه، فمن الحسن: المجادلة لإظهار الحق قال تعالى: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [سورة النحل، من الآية: ١٢٥]، ومن الجدال المذموم: ما كان فيه طلب المنازعة والمغالبة والجدل بالباطل لا لإحقاق الحق بل لإثبات الرأي[(١)]،

والجدل في الاصطلاح: المفاوضة على سبيل المغالبة والمنازعة [(٢)]. أو هو عبارة عن مراء يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها [(٣)].

٢. **الحوار:**

والحوار كلمة ترجع إلى مادة (حور) والحَوْرُ: الرُّجوعُ عَنْ الشَّيء وإلى الشّيءِ، والمُحاورةُ: مُراجَعة الكلام في المخاطبة، والمُحاوَرَة: الْمُجَاوَبَةُ، والتَّحاوُرُ: التَّجَاوُبُ[(٤)].

---

(١) انظر: ابن دريد، جمهرة اللغة (٤٤٨/١)، أبو بكر الرازي، مختار الصحاح(ص:٥٥)، ابن منظور، لسان العرب (١٠٣/١١-١٠٥)، الزبيدي، تاج العروس (٢٨/ ١٩٤)

(٢) انظر: الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (١٨٩/١).

(٣) الجرجاني، التعريفات (٧٥/١).

(٤) انظر: الفراهيدي، العين (٢٨٧/٣)، الأزهري، تهذيب اللُّغة (١٤٦/٥)،ابن منظور، لسان العرب (٢١٧/٤).

و**الحوار في الاصطلاح:** المرادة في الكلام [١].

٣. المناظرة:

والمناظرة من مادة نظر، ويأتي معناها من النظير، والمقصود به المِثْلُ فِي كُلِّ شَيْءٍ، مِثْلَ النِّدِّ والنَّدِيدِ، وَفُلَانٌ نَظِيرُك أَي مِثْلُك؛ لأَن الناظر إذا نظر إليه رَآهُمَا سَوَاءً، أو من النظر بالبصيرة، ونَظَرتُهُ وانْتَظَرْتُه إذا ارْتَقَبْتَ حضورَه، ويأتي التَّناظُرُ بمعنى: التَّراوُضُ فِي الأَمر، فنظيرك هو الَّذِي يُراوِضُك وتُناظِرُهُ. وناظَرَه أيضاً مِنَ المُناظَرَة أي المجادلة[٢].

و**المناظرة في الاصطلاح:** النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشيئين إظهارًا للصواب[٣].

(١) انظر: التوقيف على مهمات التعاريف (ص: ١٤٩).

(٢) انظر: زين الدين الرازي، مختار الصحاح (٣١٣/١)، ابن منظور، لسان العرب (٥/ ٢١٩)، الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير(٦١٢/٢).

(٣) انظر: الجرجاني، التعريفات (ص: ٢٣٢)؛ الكفوي، الكليات (ص: ٨٤٩)، التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم (٢/ ١٤٥٥).

المبحث الأول: أسلوب الحِجَاج في قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ كِتَٰبٗا فِي قِرۡطَاسٖ فَلَمَسُوهُ بِأَيۡدِيهِمۡ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴾ [سورة الأنعام، الآية ٧]، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: المعنى الإجمالي.

المطلب الثاني: أسلوب الحِجَاج في الآية.

المطلب الأول:

المعنى الإجمالي

قال تعالى: ﴿وَلَوۡ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ كِتَٰبٗا فِي قِرۡطَاسٖ فَلَمَسُوهُ بِأَيۡدِيهِمۡ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾ [سورة الأنعام، الآية ٧].

في هذه الآية يظهر أسلوب من أساليب الحِجَاج مع المشركين المكذبين، وهنا يتعلق بتكذيبهم وعنادهم حول النبوة، وقد جاء في سبب نزول هذه الآية أن مشركي مكة قالوا للنبي ﷺ: يا محمد، والله لا نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله، ومعه أربعة من الملائكة يشهدون أنه من عند الله وأنك رسوله. فنزلت هذه الآية[(١)].

ويبين الله سبحانه وتعالى في هذه الآية شدة عناد المشركين والمكذبين بالنبي ﷺ، وقوة تعنتهم عن قبول الحق، فيخبر سبحانه وتعالى بأن النبي ﷺ

(١) الواحدي، أسباب النزول (ص: ٢١٤). وقد أورده الواحدي في التفسير الوسيط (٢/٢٥٣-٢٥٤)، وأورده البغوي في تفسيره معالم التنزيل (٢/ ١١٠) والخازن في تفسيره لباب التأويل في معاني التنزيل (٢/ ١٠٠) وابن عادل في تفسيره اللباب في علوم الكتاب (٨/ ٣٦) عن الكلبي ومقاتل: " أنها نزلت في النضر بن الحارث وعبد الله بن أبي أمية ونوفل بن خويلد، قالوا: يا محمد لن نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله ومعه أربعة من الملائكة يشهدون عليه أنه من عند الله وأنك رسوله، فأنزل الله عز وجل الآية"، ونسبه ابن الجوزي لابن السائب في تفسيره زاد المسير (٢/١١)، وأورده أبو حيان، تفسيره البحر المحيط (٤/٤٤١) عن ابن عباس ﷺ ، وذكره دون نسبة الشربيني في تفسيره السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير (١/ ٤١١) والصابوني في تفسيره صفوة التفاسير (١/ ٣٥٠).

لو جاءهم بكل ما طلبوه ومن ذلك أن ينزل عليهم الكتاب في قرطاس[١]، يلمسوه بأيديهم، فإنهم لن يؤمنوا ولن يصدقوا؛ لأنهم لم يسلكوا مسلك الهداية إلى الحق، وإنما قصدهم التعنت والعناد والمكابرة والحِجَاج بالباطل، وهذا ليس لقصور فيما جئتهم به، ولا لجهل منهم بذلك، وإنما ذلك ظلم وبغي، لا حيلة لكم فيه، فقال: {وَلَوْ نزلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ} وتيقنوه {لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا} ظلما وعلوا {إِنْ هَذَا إِلا سِحْرٌ مُبِينٌ}[٢].

(١) قرطاس: القرطاس أو القَرْطَس يُتخذ مِن بَرْديَ يكون بِمصْر، أو أي شيء يُكتب عليه، وهو الصَّحيفة. انظر: مادة: قرطس في: الأزهري، تهذيب اللغة (٩/ ٢٩١) ابن منظور، لسان العرب (٦/ ١٧٢) الزبيدي، تاج العروس (١٦/ ٣٦٦)

(٢) انظر: تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢٥١).

المطلب الثاني:

أسلوب الحِجَاج في الآية

يظهر أسلوب الحِجَاج في الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾ ، وبيان ذلك أن المشركين المكذبين بالنبي صلى الله عليه وسلم، والذين يدعون أن القرآن ليس من كلام الله، وإنما من عند النبي ﷺ ، أتوا إلى النبي ﷺ يطلبون منه أن ينزل الله عليهم كتاباً من السماء حتى يؤمنوا، فأخبر سبحانه وتعالى بأنه لو حقق لهم طلبهم لما ءامنوا ولا صدقوا؛ لأنهم سلكوا مسلك العناد في الحِجَاج والجدل مع الله سبحانه(١).

قال ابن عطية: "لما أخبر عنهم عز وجل بأنهم كذبوا بكل ما جاءهم من آية تبع ذلك إخبار فيه مبالغة مضمنه أنه لو جاءهم أشنع مما جاء لكذبوا أيضا، والمعنى: لَوْ نَزَّلْنا بمرأى منهم عليك كِتاباً أي كلاما مكتوبا فِي قِرْطاسٍ أي في صحيفة، ويقال: «قرطاس» بضم القاف فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ يريد أنهم بالغوا في ميزه وتقليبه ليرتفع كل ارتياب لعاندوا فيه وتابعوا كفرهم وقالوا هذا سحر مبين"(٢).

وقال القرطبي: "قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ كِتَٰبٗا فِي قِرۡطَاسٖ﴾ الآية. المعنى: ولو نزلنا يا محمد بمرأى منهم كما زعموا وطلبوا كلاما مكتوباً في قرطاس"(٣).

وقال الشوكاني: "في هذه الجملة بيان شدة صلابتهم في الكفر، وأنهم لا يؤمنون ولو أنزل الله على رسوله كتابا مكتوبا في قرطاس بمرأى منهم ومشاهدة فلمسوه بأيديهم حتى يجتمع لهم إدراك الحاستين: حاسة البصر، وحاسة

(١) انظر: التيسير في أحاديث التفسير (٢/ ١٠٦).
(٢) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٢/ ٢٦٩).
(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٦/ ٣٩٢).

اللمس لقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين ولم يعملوا بما شاهدوا ولمسوا"[1].

(١) الشوكاني، فتح القدير (٢/ ١١٦).

المبحث الثاني: أسلوب الحِجَاج في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكٞۖ وَلَوۡ أَنزَلۡنَا مَلَكٗا لَّقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ٨]، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: المعنى الإجمالي.

المطلب الثاني: أسلوب الحِجَاج في الآية.

المطلب الأول:

المعنى الإجمالي

قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكٞۖ وَلَوۡ أَنزَلۡنَا مَلَكٗا لَّقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ٨].

يخبر سبحانه وتعالى في هذه الآية عن لون جديد من ألوان التكذيب والإعراض عن الحق، وأسلوب آخر من أساليب الحِجَاج، الذي يؤكد أن كفرهم ناتج عن قصد وتعنت، فيقترح المشركون أن يُنزَّل مع النبي ﷺ ملك من الملائكة، معاوناً ومساعداً للنبي ﷺ في تبليغ الرسالة؛ لأن رسالة الله حسب زعمهم إنما تكون على أيدي الملائكة لا البشر.

وبالنظر إلى آيات القرآن الكريم نجد أن هذا الطلب قد تكرر في آية أخرى، وهي قوله سبحانه: ﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۚ لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا﴾ [سورة الفرقان، الآية :٧](١).

فأخبر سبحانه وتعالى أنه لو كان منزلاً ملكاً لقضي الأمر كما قال سبحانه: ﴿وَلَوۡ أَنزَلۡنَا مَلَكٗا لَّقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾، وهذا الحِجَاج لون جديد من ألوان التكذيب والإعراض عن الحق من قبل المشركين، الذي يؤكد أن كفرهم ناتج عن قصد وتعنت.

ومعنى: ﴿لَّقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾ أي: لقضي عليهم بعذاب فيموتوا؛ لأن الأمم السالفة كانوا إذا اقترحوا على أنبيائهم الآيات فأجابهم الله تعالى إلى الإظهار فلم يؤمنوا استأصلهم بالعذاب. وقيل: أي: لقامت الساعة، وهو قول عكرمة،

(١) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢٥١).

ومجاهد. وقيل: أي: لجاءهم العذابُ عاجلا غيرَ آجل، ولم يُنْظروا فيؤخَّروا بالعقوبة حتى يتوبوا[١].

(١) انظر: معالم التنزيل (٢/ ١١١) زاد المسير في علم التفسير (٢/ ١١).

المطلب الثاني:

أسلوب الحِجَاج في الآية

يظهر أسلوب الحِجَاج في الآية الكريمة من جهتين:

الأولى: إخباره سبحانه أنه لو حصل ما طلبوه لهلكوا؛ والسبب أن إنزال الملك على البشر آية عظيمة باهرة، فبتقدير إنزال الملك عليهم ربما لم يؤمنوا كما قال سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ [سورة الأنعام، الآية:١١١]، وإذا لم يؤمنوا وجب إهلاكهم؛ لأن سنة الله جارية في الأمم السابقة أنه عند ظهور الآيات الباهرة إن لم يؤمنوا جاءهم العذاب وأهلكهم.

قال الرازي: "إنزال الملك على البشر آية باهرة، فبتقدير إنزال الملك على هؤلاء الكفار فربما لم يؤمنوا كما قال: ﴿... وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ...﴾ [سورة الأنعام، من الآية:١١١] وإذا لم يؤمنوا وجب إهلاكهم بعذاب الاستئصال"(١).

الثانية: ما ذكره سبحانه في الآية التي تليها: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ [سورة الأنعام، الآية:٩]، وهو تابع لأسلوب الحِجَاج مع المشركين في هذا الأمر، وقد رد الله تعالى عليهم بأنه لو جعل الله تعالى الرسول ملكاً لم يكن ذلك الملك إلا على صورة البشر؛ وذلك لأمور:

(١) الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٢/ ٤٨٦).

أولاً: أن الملائكة أجسام نورانية لا يستطيع البشر رؤيتها على صورتها، وإنما تتمثل بصور بشر، حتى إن جبريل حين كان يأتي للنبي ﷺ كان يتمثل له على صورة البشر[١]،

ثانياً: أن الجنس إلى الجنس أميل وأقرب، وجنس البشر يميل إلى جنسه بطبعه، ويأنس به.

ثالثاً: أن النبوة محض فضل واصطفاء من الله وحده، فيصطفي ويخص بها من يشاء من عباده، سواء كان ملكاً أو بشراً، وليس للبشر أي اختيار في هذا[٢].

قال ابن عاشور: "ذلك أنه لا تنزل ملائكة غير الذين سخرهم الله للأمور المعتادة مثل الحفظة، وملك الموت، والملك الذي يأتي بالوحي إلا ملائكة تنزل لتأييد الرسل بالنصر على من يكذبهم، مثل الملائكة التي نزلت لنصر المؤمنين في بدر. ولا تنزل الملائكة بين القوم المغضوب عليهم إلا لإنزال العذاب بهم، كما نزلت الملائكة في قوم لوط. فمشركو مكة لما سألوا النبيء أن يريهم ملكا معه ظنوا مقترحهم تعجيزا، فأنبأهم الله تعالى بأنهم اقترحوا أمرا لو أجيبوا إليه لكان سببا في مناجزة هلاكهم الذي أمهلهم إليه فيه رحمة منه"[٣].

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر وعلامة الساعة (١/ ٣٦) رقم: (٨).

(٢) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٢/ ٤٨٧).

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير (٧/ ١٤٤).

المبحث الثالث: أسلوب الحِجَاج في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [سورة الأنعام، الآية:٧٦-٧٨]، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: المعنى الإجمالي.

المطلب الثاني: أسلوب الحِجَاج في الآية.

المطلب الأول:

المعنى الإجمالي

بعث الله إبراهيم عليه السلام في قوم يعظمون النجوم والكواكب، وقد كانت قضية التوحيد حاضرة مع إبراهيم عليه السلام في كل محطة من محطات حياته مع أبيه وقومه والنمرود.

وقد ناسب تعظيم قوم إبراهيم للنجوم والكواكب[١] أن يحاججهم بها، ويبطل معتقدهم الفاسد من خلال إبراز مظاهر القدرة الإلهية والتدبير في الكون لله تعالى، ولله تعالى، وظاهر عجز تلك الأجرام والحوادث وضعفها.

وفي هذه الآية مشهد من مشاهد محاجة إبراهيم لقومه، ودعوتهم إلى توحيد الله تعالى، وترك عبادة الأصنام والكواكب والنجوم، محاجة عقلية بارعة، تأخذ بزمام القلوب السليمة إلى الخالق سبحانه وتعالى[٢]..

(١) كان قوم إبراهيم عليه السلام من الصابئة الذين يعبدون الشمس والقمر والكواكب والنجوم، وهي من الطوائف الأعظم ضرراً على الناس. انظر: تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١/ ٢١٠) السعدي، تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن (١/ ١٩٨).

(٢) انظر: ابن عباس رضي الله عنه، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (ص: ١١٣) السعدي، تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن (١/ ١٩٨).

المطلب الثاني:
أسلوب الحِجَاج في الآية

يظهر أسلوب الحِجَاج في الآية الكريمة في قول إبراهيم عليه السلام: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ في المواضع الثلاثة، وبيان ذلك أن إبراهيم عليه السلام لما رأى شرك قومه، وتعظيمهم للنجوم، وعبادتها من دون الله سبحانه، أراد أن يخاطب عقولهم، ويبين لهم فساد مذهبهم وعقيدتهم، فسلك معهم مسلك الاستدراك والتنزل في الحِجَاج، ليقيم عليهم الحجة، ويبين لهم الحق.

وقد ابتدأ إبراهيم عليه السلام ببيان فساد مذهبهم من خلال قوله: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ للكوكب؛ تنزلاً معهم، أي: أن هذا يستحق العبادة على مذهبهم، ثم لما رأى أفوله وزواله عرَّفهم بأن هذا الكوكب لا يصلح إلهاً؛ لأنه يأفل ويزول، فهو محدث[1]، والإله ليس كذلك، ولهذا قال: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾.

ثم انتقل بهم إلى القمر، لما فيه من نور وجمال، ثم إلى الشمس وهي أكبر إشعاعاً وحجماً، فأبطلها واحداً واحداً، وقرر أنها حادثة، تأتي وتزول، فهي لا تستحق العبادة.

وإذا كانت هذه الكواكب على عظمتها وكبرها لا تستحق العبادة، وليست بآلهة، فإن الأصنام التي كانوا يعبدونها من باب أولى، فهي أعجز وأضعف، وهذا الاستدلال والمسلك سلكه إبراهيم عليه السلام في حجاج قومه ومحاورتهم من أصح ما يكون من الاستدلال وأوضحه كما قال الجصاص[2].

---

(١) محدث: هو الجديد، وهو الذي يكون وجوده من غيره. ويقابله «القديم». انظر: معجم مصطلح الأصول (ص: ٢٨٢) شرح المصطلحات الفلسفية (١/ ٣٥٧).

(٢) انظر: الجصاص، أحكام القرآن (٤/ ١٦٨).

وقد قرر هذا المعنى كثير من المفسرين منهم ابن قتيبة[١]، والجصاص[٢]، والواحدي[٣]، وابن الجوزي[٤]، والرازي[٥]، وابن كثير[٦]، والسعدي[٧]، وابن عاشور[٨].

قال السعدي: "﴿ قَالَ هَٰذَا رَبِّي ﴾ أي: على وجه التنزل مع الخصم، أي: هذا ربي، فهلم ننظر، هل يستحق الربوبية؟ وهل يقوم لنا دليل على ذلك؟ فإنه لا ينبغي لعاقل أن يتخذ إلهه هواه، بغير حجة ولا برهان ﴿فَلَمَّآ أَفَلَ﴾ أي: غاب ذلك الكوكب ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ ﴾ أي: الذي يغيب ويختفي عمن عبده، فإن

---

(١) انظر: ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن (ص: ٢٠٢).

وابن قتيبة هو: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري؛ العلّامة النحوي اللغوي. تولى القضاء، كان من شيوخه: إسحاق بن راهويه وأبي حاتم السجستاني. ومن مصنفاته: غريب القرآن، وغريب الحديث، ودلائل النبوة. تُوفِّي سنة ٢٧٦هـ. انظر: البغدادي، تاريخ بغداد (١ /٤١١) السيوطي، بغية الوعاة (٢/٦٣-٦٤).

(٢) انظر: الجصاص، أحكام القرآن (٤/ ١٦٨).

(٣) انظر: الواحدي، التفسير البسيط (٨/ ٢٤٦).

(٤) انظر: ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير (٢/ ٤٨).

وابن الجوزي هو: عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، البغدادي الحنبلي، أبو الفرج، المفسر، المحدث، سمع من: أبي القاسم بن الحصين، ومحمد الماوردي وجماعة، وحدث عنه: موفق الدين بن قدامه، والحافظ عبد الغني وطائفة، برع في كثيرٍ من العلوم في التفسير والفقه وغيرها له تصانيف مشهورة، منها: "زاد المسير"، "الموضوعات"، "فنون الأفنان" وغيرها، توفي رحمه الله تعالى سنة: (٥٩٧) هـ. انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (٢١/٣٦٥)، ابن رجب، ذيل طبقات الحنابلة (٢/٤٦١).

(٥) انظر: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٣/ ٤٠).

(٦) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٣/ ٢٩٢).

(٧) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢٦٢).

(٨) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (٧/ ٣١٩).

المعبود لا بد أن يكون قائما بمصالح من عبده، ومدبراً له في جميع شؤونه، فأما الذي يمضي وقت كثير وهو غائب، فمن أين يستحق العبادة؟! وهل اتخاذه إلها إلا من أبطل الباطل؟!"[(١)].

وقال ابن عاشور: "وقوله: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ أي: خالقي ومدبري فهو مستحق عبادتي. قاله على سبيل الفرض جرياً على معتقد قومه ليصل بهم إلى نقض اعتقادهم، فأظهر أنه موافق لهم ليهشُّوا[(٢)] إلى ذلك، ثم يكر عليهم بالإبطال إظهاراً للإنصاف وطلب الحق"[(٣)].

وقد اختلف المفسرون في تأويل معنى قول إبراهيم عليه السلام ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ **على أقوال:**

القول الأول: أنه عليه السلام قال: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ في ظني؛ لأنه كان في حال تقليب واستدلال.

القول الثاني: أنه قال ذلك في سن الطفولية والصغر؛ حين لا يعبأ بقوله.

القول الثالث: أنه قاله توبيخاً على وجه الإنكار وتقديره، أهذا ربي؟ ففيه إضمار وتقدير. وهو قول قطرب [(٤)].

---

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢٦٢).

(٢) يهشُّوا: من الهشاشة: وهي الارتياح والخفة للمعروف، من الفعل أهش هشاشة إذا خففت إليه وارتحت له وفرحت به، يُقال: هَشَّ للمعروف: انشرح صدرُه فرحًا وسرورًا به. انظر (مادة: هشش) في: ابن منظور، لسان العرب (٦/ ٣٦٤) دوزي، تكملة المعاجم العربية (١١/ ١٤) عمر وفريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة (٣/ ٢٣٥١).

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير (٧/ ٣١٩).

(٤) نسبه إليه السمعاني في تفسير القرآن (٢/ ١١٩). وقد ضعف السمعاني الأقوال الثلاثة الأولى.

القول الرابع: أنه قال ذلك اعتقاداً أنه ربه. وهو قول ابن عباس ﷺ[١].

القول الخامس: أنه لم يقل ذلك قول معتقد، وإنما قاله على سبيل الاحتجاج ليعيب آلهتهم ويريهم بطلانها عند أفولها[٢].

والصحيح الذي عليه جمهور المفسرين هو القول الخامس، فإنه قال ذلك من باب التنزل في الحِجَاج مع قومه؛ ليبين لهم الحجة. وهذا ما يتناسب مع مقام النبوة والرسالة[٣].

ومما يدل على ذلك:

- **أولاً:** أن القول بربوبية النجوم والكواكب كفر صريح بالله تعالى، دل على ذلك الكتاب والسنة والإجماع، والأنبياء معصومون من الكفر قطعاً.
- **ثانياً:** أن إبراهيم عليه السلام قد دعى أباه إلى التوحيد قبل ذلك، فكيف يقال إنه لم يكن يعرف ربه! وقد كان يقول لأبيه: ﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [سورة الأنعام، الآية:٧٤].
- **ثالثاً:** أن الله تعالى قد وصف نبيه إبراهيم عليه السلام بأوصاف يستحيل معها أن يكون قد وقع في الكفر، ومنها قوله تعالى: ﴿إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره جامع البيان (١١/ ٤٨٠) وابن أبي حاتم في تفسيره القرآن العظيم – محققا (٤/ ١٣٢٨). إسناده حسن. انظر: بشير، الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور (٢/ ٢٥٢).

(٢) انظر: الطبري، جامع البيان (١١/٤٨٣-٤٨٤) أحكام القرآن للجصاص ت قمحاوي (٤/ ١٦٧) تفسير الماوردي = النكت والعيون (٢/ ١٣٦) تفسير السمعاني (٢/ ١١٩) تفسير البغوي – إحياء التراث (٢/ ١٣٩) زاد المسير في علم التفسير (٢/ ٤٧).

(٣) انظر: الطبري، تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (١١/ ٤٨٥) الجصاص، أحكام القرآن (٤/ ١٦٨) الواحدي، التفسير البسيط (٨/ ٢٤٦) ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير (٢/ ٤٨) الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٣/ ٤٠).

سَلِيمٍ ﴾ [سورة الصافات، الآية:٨٤]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾ [سورة الأنبياء، الآية:٥١].

- **رابعـــاً:** أن الله تعـــالى قـــال: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ...﴾ [سورة الأنعام،الآية:٨٠]، وكيف يمكن أن يحاجونه قبل أن يراهم ويرونه؟! وعلى ماذا كان يحاججهم إلا على التوحيد، وهذا يدل على أنه إنما اشتغل بالنظر في الكواكب والنجوم بعد أن خالط قومه، ورآهم يعبدون الأصنام، وبعد أن دعوه إلى عبادتها(١).
- **خامساً:** أن هذا هو القول الذي تعضده الأدلة القطعية من القرآن الكريم، فإنها قد نزهته عن الشرك، ومن ذلك:

١. قولـــه تعـــالى: {﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴾ [سورة الأنبياء، الآية :٥١].

٢. قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ إلـى قولـه: ﴿ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [سورة النحل، الآية: ١٢٠ -١٢٣].

٣. قولـه تعـالى: ﴿قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [سورة الأنعام، الآية:١٦١].

وكل هذه الآيات تبين بعد إبراهيم عليه السلام عن الشرك قليله وكثيره، صغيراً أو كبيراً(٢).

(١) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٣/ ٣٩).
(٢) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٣/ ٢٩٢).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله تتحقق المقاصد والغايات، وبتوفيقه ومنّه تنال البركات، وصلاة وسلاماً على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أولي النُّهى والحسنات، صلاة وسلاماً دائمين ما دامت الأرض والسماوات، وبعد: ففي ختام هذا البحث أسجل أبرز النتائج التي خلصت إليها، من أهمها:

- قضية التوحيد كانت أهم القضايا الحاضرة عند الأنبياء عليهم السلام، وهي قضية مفصلية عند المسلم، يوالي ويعادي من أجلها، لا تأخذه في الله لومة لائم، وقد فارق إبراهيم عليه السلام أباه الذي هو أقرب الناس إليه من أجلها، وهذا يفسر كثرة مشاهد الحوار والجدل والنصح من إبراهيم عليه السلام لأبيه وقومه.
- يحسن بطالب العلم أن يتعلم مسالك الحوار والجدل مع المشركين، ولا يقتصر على مسلك واحد، وفي قصة إبراهيم عليه السلام شاهد على ذلك، فإنه كان يحاور أباه وقومه بالتذكير بالله، والنهي عن اتباع الشيطان، والتخويف بالنار، وتارة يحاورهم بإبطال عقيدتهم في النجوم والكواكب، فتنوع خطابه عليه السلام بين الخطاب العقلي المحسوس، وبين المعنوي المتعلق بعالم الغيب.
- القول بأن إبراهيم عليه السلام قد وقع في الكفر لأي سبب كان، سواء في الصغر أو جهلاً أو نحو ذلك قول مقطوع بطلانه؛ فإنه كان مناظراً لا ناظراً، ويجوز للمناظر التسليم بمقدمات لا يؤمن بها تمهيداً لإبطال حجج الخصم، وفي قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية:٦٧] دليل قاطع على أن إبراهيم عليه السلام كان حنيفاً مسلماً، ولم يكن يوما ما من المشركين.

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**
- ابن عادل، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي الحنبلي النعماني (ت: ٧٧٥هـ) اللباب في علوم الكتاب، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، ط: الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م، ج: ٢٠.
- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي (ت: ١٣٩٣هـ) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ، ط: بدون، ج: ٣٠.
- ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام الأندلسي المحاربي (ت: ٥٤٢هـ) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى – ١٤٢٢ هـ.
- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد البغوي الشافعي (ت: ٥١٠هـ) معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي –بيروت، ط: الأولى، ١٤٢٠ هـ، ج: ٥.
- تاج العروس من جواهر القاموس، تأليف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- التعريفات، تأليف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، الناشر: عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت–القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ–١٩٩٠م.

- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين (ت: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، ط: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.
- جمهرة اللغة، المؤلف: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ)، المحقق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م.
- الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت: ٥٩٧هـ) زاد المسير في علم التفسير، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، ط: الأولى - ١٤٢٢هـ.
- الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن (ت: ٧٤١هـ) لباب التأويل في معاني التنزيل، تصحيح: محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى، ١٤١٥ هـ.
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله (ت: ١٣٧٦هـ) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م، ج: ١.
- الشربيني، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشافعي (ت: ٩٧٧هـ) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، الناشر: مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة، عام النشر: ١٢٨٥ هـ، ج: ٤.

- فتح الباري شرح صحيح البخاري، تأليف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ.
- فتح القدير، تأليف: كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي المعروف بابن الهمام (ت ٨٦١هـ)، دار الفكر.
- فخر الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي (ت: ٦٠٦هـ) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الثالثة – ١٤٢٠ هـ.
- القاموس المحيط، الفيروزآبادى، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت: ٨١٧هـ) ، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط: الثامنة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م، ج: ١
- لسان العرب ، المؤلف: محمد بن علي الطيب أبو الحسين البَصْري المعتزلي (المتوفى: ٤٣٦هـ)، المحقق: خليل الميس، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ.
- المحكم والمحيط الأعظم، تأليف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠ م.
- مختار الصحاح، تأليف: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت ٦٦٦هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة الخامسة، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المؤلف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت.
- النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (ت: ٦٧٦هـ) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحِجَاج، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الثانية، ١٣٩٢هـ، ج: ١٨.